

جدل الأدب والسياسة

في نماذج من روايات عبد الرحمان منيف

The Dialectic of Literature and Politics in examples of Abdel Rahman Munif's novels

الدكتور: سمير نورالدين جابلي

Dr: Samir Nourddime jebli

جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

jebliamir@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2026/04/01

تاريخ الاستلام: 2025/09/15

الملخص:

تتباين الآراء حول وجود علاقة بين الأدب والسياسة. فمنهم من يراها مجالين منفصلين: الأدب، الذي ينبع من الخيال والمشاعر الإنسانية الخالصة، في مقابل السياسة، التي تحركها المصالح وتخلو من العاطفة. بينما يرى آخرون أنهما مترابطان ترابطاً وثيقاً، إذ يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به. وعند النظر إليهما من منظور حضاري، يبرز الإنسان كعنصر محوري في كلا المجالين. ويتجلى هذا التفاعل بوضوح في الأجناس السردية، حيث يلتقي الأدب والسياسة، مثيرين النصوص بأبعاد دلالية وفنية من خلال آليات كالحوار والتعدد الصوتي والتعدد الخطابي.

كلمات مفتاحية: الأدب؛ السياسة؛ التفاعل؛ الحوارية.

Abstract

Opinions are divided on whether a relationship exists between literature and politics. Some view them as separate spheres: literature, born of imagination and pure human emotion, versus politics, driven by interests and devoid of sentiment. Others argue they are deeply interconnected, each shaping and being shaped by the other. When examined through a civilizational lens, the human being emerges as the central agent in both domains. This interplay is particularly evident in narrative genres, where literature and politics converge, enriching texts with semantic and artistic dimensions through mechanisms such as dialogue, polyphony, and discursive multiplicity.

Keywords: Literature; Politics; Interaction; Dialogism.

المؤلف المرسل: د. سمير نورالدين جابلي، الإيميل: jebliamir@yahoo.fr

1. مقدمة:

تباينت الآراء بشأن وجود علاقة بين الأدب والسياسة، فثمة من يرى أنهما عالمان منفصلان، وحجة هؤلاء بأنّ عالم الأدب عالم يتأسس على الخيال المنبثق عن المشاعر الإنسانية النقيّة الصافيّة الخاليّة من كلّ برائن الحقد والبغضاء، عكس عالم السياسة الجاف القائم على المصالح، الذي لا مكان فيه للعواطف والأحاسيس. ويذهب البعض الآخر إلى اعتبارهما مترابطان متلازمان يتأثر كل منهما بالآخر ويؤثر فيه. وإذا نزلنا هذا الكلام في سياقه الحضاريّ والإنسانيّ نجد أنّ الإنسان هو الفاعل في (الأدب والسياسة). فمهمة الأدب تشكيل فكر المتلقي برغبة وإرادة كاملتين منه، عكس السياسة التي تفرض أطروحاتها قسراً على الأفراد والمجتمعات. وعندما لا تُحقّق لهم رغباتهم فهم أوّل من يُشهرن سلاحهم في وجهها من أجل تغيير الواقع والبحث عن عالم أفضل سبيلهم في ذلك الآراء النقدية والفكرية والأدبية التي تشبّعوا بها وهي الداعية إلى الحرية والانعتاق فـ: "الأدب يُشكل في كثير من الأحيان خطراً على السياسة، فهو يُشير إلى مكامن الخطأ ويستفزّ مشاعر القارئ ويشدّ أفكاره ويمدّه بالقوة الروحية التي تُتيح له الرّفْض والسّجب. ولا يُجانب الحقيقة من يقول: إنّ غالبية الثورات والتغييرات الجذرية في العالم هي نتاج أفكار. والأدب مُثير أساسي في تشكيل فكر الشعوب وسلوكها، ومن هنا لا بُدّ أن يكون الأديب على دراية بالسياسة، ليس من أجل أن يقوم بالثورات، وإنّما ليعي دوره في المجتمع ويضطلع بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقه، لأنّه لا يكتب لنفسه. وعندما يعي الأديب هذا الدور، فإنّه يُنتج أدباً جاداً ومسؤولاً ويكون عنصراً مؤثراً في مجتمعه." (رؤى حيدر المومني، 2019، ص 361)

ومن هذا المنظور يمكن للأدب أن يكون مزعجاً للسياسة، فهو الوسيلة الأولى للتعبير عن إرادة الحرية والتغيير. فقد أدت جملة أدبيّة من كلمتين تلفظ بها رجل السياسة الشهير مارتن لوثر كينغ، وهي "لديّ حلم" إلى تغيير تاريخ السود في أمريكا" (رؤى حيدر المومني، 2019، ص 361). فهذا التداخل والنقاطع بين الأدبيّ والسياسيّ يجعل العلاقة بينهما في تنافر تارة، وفي انسجام تارة أخرى، انسجام يتحقّق عندما يتماهى الخطاب الأدبيّ مع الخطاب السياسيّ وتنافر يتجلى لحظة عدم التقائهما. وقد اتّخذت الرواية العربيّة السياسيّة مساراً وطنياً يتمثّل في مجابهة الاستعمار الذي استهدف تغريب المجتمع العربيّ واستغلاله وتجهيله (عبد الكريم غلاب، مبارك ربيع، طاهر وطار...)، كما اتّخذت مساراً قومياً للدفاع عن القضية الفلسطينيّة ومناصرة التجربة الناصريّة والدعوة إلى الوحدة العربيّة والإسلاميّة. فتحول الموضوع القوميّ مدار تجارب روائية برمتها ومن أبرز الروائيين نجد نجيب محفوظ وفتحي غانم وعبد الرحمان الشرقاوي وجمال الغيطاني ويوسف قعيد وصنع الله إبراهيم في مصر، وصديقي إسماعيل وأديب نحوي وهاني الراهب وحيدر حيدر ونبيل سليمان في سوريا، والطاهر وطار وواسيني الأعرج في الجزائر، وعبد الكريم غلاب ومبارك ربيع في المغرب وإلياس خوري في لبنان، ومونس الرزاز في الأردن... إلخ واتّخذت هذه الرواية السياسيّة كذلك مساراً واقعيّاً انتقاديّاً وحقوقيّاً وذلك بنقد الواقع والتّاريخ والآخر. وتتنزل

مقاربتنا الموسومة بجدلية الأدب والسياسة في روايات عبد الرحمان منيف في هذا السياق لنبرز فيها تقاطع المجالين الأدبي والسياسي في الجنس الروائي ومدى فاعلية الجانب الأول في المجال السياسي حيث سنحاول إظهار مدى قدرته في توظيف الخطاب السياسي دون انزياحه عن وظيفته الجمالية والإبداعية في تشكيل النصوص الروائية. وكذلك نبين أهميته في طرح قضايا الواقع والمجتمع بشكل يقي المبدع من الملاحظات التي قد تطاله جراء الرقابة الصارمة التي تفرضها الأنظمة على الأفكار التي لا تتطابق مع تصوراتها. فالأدب كان وما يزال موضع اهتمام أصحاب السلطة من ملوك وأمراء وجزالات منذ الأزل، فالسلطة غالبا ما تسعى إلى استمالة الأدباء والمفكرين إما بتمكينهم من المناصب والعطايا كي يزينوا لها أفعالها، وإما بزجرهم إذا عارضوا أفكارها. فغالبا ما تواجه السلطة السياسية بأدباء لا تغريهم عطاياها، بل تصطدم بتعنتهم ودفاعهم عن مطلب الحرية والكرامة الإنسانية ديدنهم الوحيد الاحتكام إلى ضمائرهم، الملزمة العسية عن التطويع، البعيدة عن المصالح الذاتية الضيقة، فإنها في هذه الحالة تستعمل معهم وسائل التهريب كمصادرة أعمالهم الفنية والملاحقة والسجون كواقع حال كثير من أدباء البلدان العربية وحتى بعض دول أمريكا اللاتينية. هذه جملة من الإشارات والملاحظات التي سنحاول مقاربتها في هذه الورقة البحثية علها تكمل ما بدأه السابقون في هذا المجال.

في حوار الأدب السياسية. 2. عنوان الرئيسي الأول:

لا تنفصل الأصوات واللغات في النص الأدبي، الروائي على وجه الخصوص، عن السياقات الاجتماعية والسياسية والأدبية والثقافية الحضارية. فهي تأتي النص مُحملة بأبعاد ومقاصد فيهيئ لها هذا النص نسيجا تركيبيا ودلاليا بقدر ما يجعل لها أبعادا لم تكن لها في أصل وضعها - إن كان لها أصل وضع - يُيسر اندغامها في جوهر النص تألفا وانسجاما على مستوى البناء والتركيب خاصة. بحيث تتجاوز كل الأصوات وأشكال الخطاب ليصبح معها النص أشبه بفضاء مثقوب انشطارا في الكلم وانفصالا في الفكر، إلى كيفيات في الصياغة فتقا ورتقا وتركيبا. وندرك مع هذه الكيفيات أن التفاعل بين مجال الأدب والسياسة يضيف على النص أبعادا دلالية وفنية متنوعة تضبطها جملة من الآليات منها الحوار أو الحوارية أو التعدد في نص أدبي، دينامية في الكتابة تحنل هذه معها موقع التقاطع بين طرق في الصياغة متعددة وبنيات في الخطاب مختلفة. وندرك أن الأثر الأدبي إنما يمتلك شروط أدبيته وربما حتى اكتماله عبر التعدد والاختلاف أساسا بذلك يكون النص حدثا إبداعيا تشحذه الذاكرة من جهة، وإحداثيات الواقع وتحولاته من جهة أخرى، فيفتح على الماضي والراهن، وعلى الواقعي والمتخيل والرمزي. ويحتوي من الأشكال والبنى الكثير مما ينفي هذا النص بعضه ويثبت بعضه الآخر في نسق حركي تفاعلي جدلي تتكافؤ فيه فرص التأثير والتحوير بين النص الأدبي وما يستجلب بدوره من أصوات ولغات وضروب وعي. وهو ما يفسر أن أشكال الحوارية وإن لازمت النص الروائي منذ انبثاقه تقريبا صورة لمرونته وقابليته لاحتواء الظاهر والمضمّر من أنماط القول، تُعد اليوم وكأنها علامة حادثة في النص الروائي ينشط الباحثون لمعرفة مظهرات حضورها وآليات اشتغالها ثانيا بنيات النص العميقة والظاهرة. وربما مردّد ذلك ما بلغته النصوص وأنواع الخطاب المتشكلة رحم

النّص الأصل من تراكم وكثافة وما التّبس النّص بفعلها من تعالقات لغويّة ودلاليّة حاضرة وغائبة لا تُنّي تتغير حتّى يعسر الإمساك بها. وربما مرّد ذلك أنّ النّص الأدبيّ وقد استضاف من النّصوص وأشكال الخطاب، الأدبيّة وغير الأدبيّة، اقتبس ما فاض عن حدوده فنّا ودلالة .

والأمر من هذه الزاوية مفهوم، ذلك أن حضور الخطاب في الخطاب، عمليّة قائمة في جانب كبير منها من جهة، على محاصرة النّص للآخر واحتواء ما فيه من أنساق تعبير وتدلّال وتطويعها إلى نمط كتابيّ جديد، وقائمة من جهة مقابلة على فعل مضاد يفضح عبره سعي الدخيل معجما وخطابا إلى احتلال موقع الصدارة وهو المتيّنة صلته بالذاكرة وما اختزنت من فكر وثقافة وأدب. وإن كان في هذا الفعل من جهة وردّ الفعل من جهة أخرى مصداقا أبرز لديناميّة الحوار بين النّصوص، فهو الدليل الأبرز كذلك على أن الجدليّة القائمة بين الأدبيّ والسياسيّ ذات حدين، فقد يستقيم به النّص مسالك الإبداع وقد يصيبه منه خلل كليّ أو جزئيّ فإذا به فضاء للتباين أكثر منه للتداخل والتكامل. وبفضل هذا التقاطع يمكن للباحث الوقوف عند حدّي: الأدب والسياسة- والعلاقة بينهما، فكيف لنمطين مختلفين الانسجام والتداخل في أثر روائيّ مخصوص.

إنّ مثل هذه الصورة التي يفرزها ما بين النّصوص وأنواع الخطاب من تداخل وتجاوز تتردّد عن حق أو باطل في قراءات بعضهم خاصّة لأعمال روائية عريّة دخلت السياسة فيها الأدب. فكانت من محاورها الأبرز القضايا السياسيّة الوطنيّة والقوميّة والعالميّة كذلك. فهذه الروايات تعرض في جانب كبير منها للصراع ما بين الإنسان والسلطة من جهة، ومنظوره من جهة أخرى. وتُعنى بما يستتبع ذلك الصراع بوجهيه من استبداد سياسيّ وقهر اجتماعيّ وإرهاب فكريّ، بل وترصد حتّى ما يكشف عن خيبة المواطن العربيّ وبؤسه الماديّ والمعنويّ من سجن وقمع وتزوير في الانتخابات ومصادرة للحقوق والديمقراطيّة وهزائم في حروب عريّة وفساد اجتماعيّ وسياسيّ واقتصاديّ. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن عددا من الأعمال الروائيّة العربيّة روايات سياسيّة بصريح العبارة ممّا يمكن اعتباره ذا أطروحة إيديولوجيّة واضحة منكشفة أساسا عبر دعوة الكاتب إلى أفكار سياسيّة معينة وانسياقه لأجل الإقناع بها والتحريض عليها، إلى تحاليل فكريّة ومجادلات سياسيّة. وقارئ هذه الروايات ينتبه ولا شك إلى غلبة النزعة التقريريّة والتسجيليّة عليها. الأمر الذي يقلل من شأن المقومات السرديّة والفنيّة في هذه النّصوص

ويمكن القول: إنّ مثل هذه الروايات الساعيّة تسعى إخباريا توثيقيا وتلقينيا ودعائيا، أحادية فيما تصوغ من دلالات وما تقترح من رؤى وتصورات. ومن ثمة، خلوها ممّا يُسمى حوارا أو جدلا بين الأدب والسياسة على أنّ روايات أخرى لم يمنع الاهتمام بالسياسة وشؤونها أصحابها من استخدام طرق في الصياغة والتعبير بقدر ما عبرت عن هموم الذات الفرديّة والجماعيّة، استخدمت من الرموز والأقنعة التراثيّة ما وسّع آفاق النقد والتعريض فيها. فإذا للسياسة في هذه الروايات بعد اجتماعيّ ووجوديّ كليّ موصول بأنساق الحياة كلّها فكرا وشعورا وحضارة. وإذا بالتجارب والقضايا تتسع لتشمل الفقر والبؤس والقمع السياسيّ والإداريّ والاستلاب الثقافيّ

والاغتراب الوجودي والنكبات العريية وغير... ذلك مما يعسر ألا يكون في نص أدبي يُعنى صاحبه بالحياة في معناها الواسع. فلا يخلو أدب من السياسة بصفتها نسفا اجتماعيا كلياً مهما جنحت به مسالك الفن أو التجريب فيه والرواية بصورة خاصة، مثال واضح لذلك باعتبار أن اتساع مساحتها وتعدد فضاءاتها وشخصياتها وتشابك برامجها السردية يمنحها قابلية لاحتواء أوجاع الذات الفردية والجماعية وتمثل رؤاها والتعبير عنها. وقد كتبت روايات عربية كثيرة على هذه الشاكلة. نذكر منها الوشم (1972) لعبد الرحمن مجيد الربيعي واللاز (1971) للظاهر وطار واللجنة (1981) لصنع الله إبراهيم وشرق المتوسط (1983) لعبد الرحمن منيف... فهذه الروايات وإن غلب عليها الحس الفجائي بالخيبة والانكسار وزاوجت بين النقمة على الأنظمة السياسية المستبدة والتمرد على السلطة بوجوهها، انتقت من طرق الصياغة والبناء والتعبير ما نأى بها عن مجرد السرد التقريري المباشر للأحداث وعن التردد للشعارات الإيديولوجية. فقد هيأت هذه الروايات لَمَا دار فيها حول السياسة وشؤونها فضاءات وأطرا تفيض توترا وتضادا وصاغت لها عبر نسيج حكاوي تخيليّ برامج سردية مركبة وقائمة على الصراع. ثم لم تكف بذلك فراوحت في وصف السلط القامعة والتعبير عما يلقي الإنسان في ظلها من غت وإذلال، بين الرمز والإيحاء والمقارنة والباروديا الساخرة. فكان الأدب في هذه الروايات وهو الحاضن للسياسة المفعل لأدوات التعبير عنها، منشأ بفضل آليات الفن فيه ومساحات التخيل، فضاءات من الجدل والحوار بينه وبين السياسة وتداخل عبر هذه الفضاءات من الجدل والحوار التي تختلف نسبها وأبعادها من رواية إلى أخرى، الواقع بالخيال والممكن بالمحتمل. فتجاوزت الدلالة حدود الراهن إلى أزمنة ممتدة ونأت عن سطح النص وظاهره حفزا للقارئ على أن يلتقط من المعنى ما بُعد ويتدارك منه ما حُذف. ذلك أن بعض هذه الروايات اصطنع له أقتعة تاريخية وصوفية وفلسفية وبعضها الآخر استند إلى الرمز والإيحاء أساسا.

وقد اخترنا أن نتمثل لهذا الصنف من الكتابات الروائية المعنية عناية كبرى بالسياسة، بروايات ثلاث للكاتب السعودي عبد الرحمن منيف (1933- 2004) هي: الأشجار واغتيال مرزوق وشرق المتوسط وحين تركنا الجسر. (عبد الرحمان منيف، 1983، 1979، 1980) ذلك أنّ هذه الروايات المتسمة باتساع في المواضيع وشمولية في الأغراض، تجمع إلى الاهتمام بالسلط السياسية الجائرة والسجون ومظاهر القمع والاستبداد الظاهرة والمقنعة، الاهتمام بمشاغل الإنسان العربي الاجتماعية والفكرية وحتى النفسية والوجدانية. هذا إضافة إلى أن حدة منيف في التعبير وجراته في الوصف والتصوير، لم تمنع إحكامه بناء رواياته الفني وصياغة أنساقها اللغوية ناحيا منحي واقعيًا مرة ورمزيًا أخرى.

وقد نظرنا في وصف بعضهم روايات منيف بالإكثار من الشعارات السياسية والتغريب لقضايا الشرق والشرقيين، (المنصف وناس، 1981، ص21) بدا لنا ذلك من قبيل الحكم المطلق لا يصدر أصحابه عن سبر لكلية التجربة الروائية عند منيف. وحضرت إلى ذهننا أقوال لمنيف نفسه وصف فيها رواياته بأنها ثورية طليعية عبرت عن هموم العرب وتطلعاتهم وحفزتهم على أن يعوا أوضاعهم وأدوارهم في الحياة ونجحت في تحقيق المعادلة

الصعبة بين الكلمة والفعل وبين الأدب والسياسة، فرأينا أن نجعل النص الأدبي وحده يفك عقل صمته عله يكشف عبر الكلمات والصور والأبنية كيف يتجادل الأدب والسياسة في نسق فنيّ توليفي واحد.

1.2 العنوان الفرعي الأول: من ملامح السياسة في روايات عبد الرحمن منيف.

لعلنا لا نخطئ إذا أقررنا بأن السياسة تمثل المحور الأساسي في روايات الكاتب عبد الرحمان منيف. فهو القادم إلى الأدب من باب السياسة، يقول جوابا عن سبب دوران رواياته دائما حول الواقع السياسي المتأزم "متى عرفنا الانفراج أو الرخاء السياسي؟ ما نعيشه ما هو إلا عبارة عن مأساة مستمرة، دوامة ليس لها نهاية وبالتالي فطابعها المميز في كونها أزمة. وكون واقعنا مأزوما من الطبيعي أن ينعكس هذا المناخ في الرواية، أن يتنفس الكاتب هواءه ويعيش فيه ويعبر عنه" (بيار أبي صعب، 1984، ص 25). (وفعلا فإننا في الأشجار واغتيال مرزوق ننقل مع شخصية منصور عبد السلام من اكتشافه عالم السياسة إلى المظاهرة فالاعتقال فالسجن، ومن الوعي بحقيقة التاريخ المزيف إلى رفضه ومحاولة فضحه إلى تعرضه للعقاب وتسريحه من عمله. وترسم مع شخصية إلياس نخلة في الرواية نفسها صورة المطارد المشرّد الذي لا يجد في وطنه غير الجوع والبطالة. وفي شرق المتوسط يطالعا من جديد أخطبوط السياسة العربيّة قويا عنيفا قاهرا يعاقب رجب إسماعيل لتفكيره في السياسة ومطالبته بحقوقه ويحقوق غيره ويتسبب في قتل أمه وحرمانه من حبيبته، بل وفي موته بعد تعذيبه. وفي حين تركنا الجسر تمتد الأزمة فإذا السياسة العربيّة لا تكفي بقمع شعوبها واضطهادها، بل تمنع في كسرهما وإذلالها إزاء شعوب الأمم الأخرى.

وقد كانت السلطة بكلّ أجهزتها الإداريّة العليا والصغرى حاضرة في روايات منيف. فجهاز الدولة يحتل أعلى الهرم السياسي، بل هو أضخم جهاز عنه تتفرع دوائر أخرى تشكل بدورها سلطته السياسيّة. فهو الجهة العليا التي لا تُرد عن شيء ولا تخالف في أمر لذلك اعتبرت فصلها منصورا عن مهنته وحرمانه التمتع بأيّ عمل قدرا منها مسلطا لا رادّ له والدولة في سياق روايات منيف ليست إلا أداة قاهرة تُخضع أغلب الطبقات لحكم طبقة واحدة متميزة على رأسها الحكام والملوك ومن اتّصل بهم ووالاهم. أما الحكومة فهي جهاز الدولة الإداري التنفيذي الأول وروايات منيف لم تصور لها إلا مستبدة مقصية كلّ متطفل عليها "أتركوا السياسة وقضية فلسطين للحكومة فهي التي تعالجها" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 194) ومن أجل أن تنفرد "الحكومة" لوحدها بالسياسة والتدبير، سخّرت أجهزة ضخمة من الشرطة والمحاكم والبوليس والسجون لردع كل من يعارضها ويتمرّد عليها.

وقد صورت رواية شرق المتوسط ما يلقي الإنسان لأجل أن يرده السجانون عن مبادئه من ضرب وحبس انفرادي وتعليق وكّي بالنار والكهرباء وصورت كيف أجبر رجب إسماعيل بطل الرواية من أثر ذلك على إعلان الولاء والطاعة.

ورصدت رواية الأشجار واغتيال مرزوق تعمد رجال السلطة محاصرة منصور عبد السلام في كلّ مكان يذهب إليه فيراقبونه ويعدون حوله التقارير ثم يرسلونها إلى مقاطعة المعلومات حيث الرجال الجالسون وراء

المكاتب اللامعة يقرؤون كما يقول منصور التقارير في غرفة مسدلة الستائر "يتابعونك طوال النهار، يتابعونك طوال الليل، يجلسون أينما جلست، يسمعون، ينظرون... يُرفع التقرير في نفس الليلة، والرجل الصغير في الغرفة المسدلة الستائر يقلب الأوراق بين يديه" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 14) كل ذلك شدّد الحصار حول شخصيات منيف وضيق عليها الخناق وزاد في جبروت الأنظمة السياسية الشرقية وفي قهرها واضطهادها وكذلك في انحلالها وتدرجها نحو الضعف والعجز. ولعلّ نظرة تأمل في أبرز ما ألحق بالسياسة من صفات في روايات منيف، تثبت ذلك وتدعمه. وهي صفات تجمع بين القمع والترهيب واللامعراطية والعجز والتخلف والكذب والتزييف، ممّا يمكن إجماله في ما يلي:

2.2 القمع والإرهاب السياسي:

وتتخذ ظاهرة القمع والعنف السياسي في العالم العربي أشكالاً متعدّدة تختلف أنواعها ودرجات الحدة فيها من مضطهد إلى آخر حسب طبيعة "الجرم" الذي اقترفه وحسب مستواه الثقافي ودرجة وعيه. لذلك عانت شخصيات منيف نوعين من الاضطهاد: الأول اجتماعي علامته الاستغلال في العمل والعلاقات الاجتماعية والثاني سياسي علامته سحق الإنسان وتهميّشه. فإلياس نخلة تبدأ حكايته الطويلة مع الاضطهاد مبكراً منذ كان في قريته "الطبية" بين أهله وخلانه فيُجبر بطرق ملتوية على قطع أشجاره التي يعشقها ثم يُرحّل عن قريته حزينا مغترباً إلى المدينة حيث ينتقل من مهنة إلى أخرى فلا تفعل الواحدة، إلّا أن تعمق ما أثبتته الأخرى في نفسه من ذل وغربة وإحساس رهيب بالوضاعة والقهر. ففي حياة إلياس نخلة مأساة وجوده وفي انتزاع أشجاره منه وقطعها سر أزمته، أزمة "الإنسان المحاصر من جذوره، من أرضه وزرعه وشجره ووطنه وقيمه ووجوده وذاته وحرية... في عالم يضمّر له العداء ويطارده أينما ذهب". (أحمد محمد عطية، 1981، ص 32) وهذه كلّها اختيارات سياسية وإنّ تلونت بلون اجتماعي، ذلك أن الإنسان لا يشعر بالغربة والإحباط والتهديد في رزقه وعمله ممّا رمز له منيف باغتيال الأشجار واغتيال مرزوق، إلّا في ظل نظام سياسي مستبد قاهر منحاز لفئة دون أخرى. أما كلّ من منصور ورجب إسماعيل وزكي نداوي، فلم تكن الأزمة عندهم بسبب أشجار انتزعت واجتثت من تربتها أو عمل لم يواز في قيمته وكرامته غراسة الأشجار ورعايتها أو بسبب قسوة سكان المدينة عليهم. وإنّما كانت بسبب القمع والإرهاب السياسيين. حتّى أن رجب إسماعيل هالته "الحفر تستقبل كلّ يوم عشرات الجثث التي لم تتح لها حتّى فرصة الحلم، حملت معها أحزانها ورحلت" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 180) وهالته كرابيج القمع والإرهاب تضطرّ السجين إلى أن يتخلّى عن فكره ووعيه وعن ذاكرته كذلك، أما منصور عبد السلام وزكي نداوي اللذان عاشا الهزيمة العسكرية وأدركا أنّها هزيمة صنعتها الأنظمة السياسية العربية المتراجعة، فقد هالتهما قدرة هذه الأنظمة على تسطير التاريخ وتزييف وقائعه وتدبيح الانتصارات والأمجاد. ولما كانت صفة القمع في أية مؤسسة سياسية، تنبني على المنع، منع الآخر من التمتع بحقه في أي نشاط كان سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو فكرياً أو نفسياً، سواء تمت ممارسته بالقول

أو بالفعل أو بالكتابة أو بالتفكير لا غير، فإنّ بين القمع السياسيّ مهما اختلفت درجاته والديمقراطية أو أصر متينة لم يُفْتُ شخصيّات منيف التنبيه إليها.

-الإكراه السياسي وغياب الديمقراطية: تجد الديمقراطية تطبيقها في حرية الفكر والكلام والصحافة والاجتماع وحق المشاركة في السياسة ونقد الأنظمة القائمة والاعتراض عليها إذا استوجب أمرها اعتراضاً أو تغييراً أو إصلاحاً. وتكون الديمقراطية كذلك بتساوي الأفراد في فرص الحياة جميعها من التعليم إلى العمل إلى الأمن والغذاء. هكذا فهمتها شخصيّات منيف وعبرت عن فقدانها في العالم العربيّ. فليس من فرق بين سلطة تمنع الحق السياسيّ وحرية تكوين الأحزاب في شرق المتوسط، وسلطة تحرم الفرد حقه في العمل والعيش اللائق في الأشجار واغتيال مرزوق، وسلطة تخدع المواطن وتزيف له الحقائق وتحرمه شرف الدفاع عن نفسه أمام عدوه الخارجي في حين تركنا الجسر ولقد كشفت روايات منيف عبر ما عاشه أبطالها ووصفوه، أن في عالم العرب لا تهيمن إلا أفكار الطبقات المهيمنة ومقولاتها مدعّمة سيادتها وسيطرتها، أما الحقائق عن فسادها وتواطؤها مع الاستعمار وعن بشاعة الملكية وجشع الحكام وضعفهم وخيانتهم الشعوب، فتقود مكتشفها ومعلنها إلى السجن، حتّى أن الشرقيين حسب رجب اسماعيل بطل شرق المتوسط صاروا "بقايا بشر ولهاثا، وانتظارا يائسا" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 271). فليس غريبا في مثل هذا الوضع، أن تشدّد السلط الحصار وتفرض مراقبتها المحكمة. فتمنع تكوين أية مؤسسات معارضة وتمنع أن يكون لأي كاتب أو مبدع الحق في التصريح بما يشاء. إنّ الديمقراطية باعتبارها ممارسة لم تعرف طريقها إلى الأقطار العربيّة كما جاء في روايات منيف، ولكنّها كفكرة ومفهوم مجرد عن الحق والحرية والعدل والمساواة أقامت في سراديبها وأقبيبتها مسجونة، وكانت تنتزع من أذهان الناس ومن دفات كتبهم انتزاعا، وتتحول كلّ لحظة إلى رعب وسجن واضطهاد وجوع وبطالة. فيُسرّح منصور من عمله لأنّه سعى إلى القيام بعمله في تدريس التاريخ المعاصر كما يجب أن يكون ويُنمّع من مباشرة أي عمل آخر حتّى الذي لا يناسب مستواه وشهاداته الجامعيّة لأنّ الغاية لم تكن منعه من تدريسه الطلبة التاريخ الحقيقيّ غير الموافق لما يروجه الساسة فحسب، بل قتله قتلا بطيئا بالتجويع والفقر والتشريد في حين يثرى البعض الآخر من رجال الساسة ومواليهم وجلاذيتهم ومن يتصل بهم وتُنيّع وجوهم شيعا وصحة ورفاهاً " وفي النهاية وحدهم الذين يعيشون، وحدهم الذين يصبحون إقطاعا من نوع جديد" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 275). فليس الحديث عن الديمقراطية في العالم العربيّ كما ورد في روايات منيف إلّا ذكرا لسلسلة من الأزمات والمآسي فلم يكن للاضطهاد في تلك الروايات وجه واحد هو السياسيّ، بل كان له كذلك وجه اقتصاديّ وطبيقيّ.

-العجز والتخلف: إنّ المعني بعجز السياسة في العالم العربيّ وتخلفها في روايات منيف، هو العجز الإيديولوجيّ والسياسيّ والعجز الحضاريّ والعجز العسكريّ. فقد قصرت الأنظمة السياسيّة العربيّة اليمينيّة واليساريّة على حدّ السواء حسب أبطال منيف، عن اصطناع اتّجاه فكريّ وسياسيّ مناسب لما تعتقد فيه وما تطرحه من إيديولوجيّات وملامح لطبيعة الشعوب العربيّة وطريقة حياتها، لذلك ينتهج أصحاب تلك الأنظمة اتجاها ملفقا بعيدا كلّ البعد عن

العقلانية والدينامية التاريخية. ويقدمون حلولاً لمشاكل آنية عاجلة، في حين يهتمون بالمعضلات الأساسية الرئيسية أو يقدمون لها حلولاً ليس فيها من مقومات التماسك ما يمكنهم من تخطي مشاكل الشعوب وتجاوزها. يقول أحدهم لمنصور عبد السلام مقراً بعجز حزبه السياسي وفشله "لقد حاولنا أن نقيم عالماً جديداً ونحن الآن نقيمه... لقد تغير كل شيء ولكن الظروف أكبر منا" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 271) ويكون من جرّاء ذلك وغيره تخلف الأنظمة السياسية العربية تخلفاً حضارياً تاريخياً يشدها إلى الجمود والسلبية. فإذا بها طفيلية مهمشة لم تأت أبداً بما يمكن أن يغير دفة التاريخ أو يؤثر فيه أمام التحالفات والاحتكارات الدولية. لذلك تجزم روايات منيف أن السبب فيما أصاب العرب من هزائم عسكرية، ما تعانيه قياداتهم من عجز إيديولوجي سياسي وتخلف حضاري تاريخي. إذ لا يمكن لاتجاه سياسي ما، تكبله الأصولية وعيوب التقليد ويفتقر إلى أبسط مقومات العقلانية والديمقراطية أن يقود شعبه إلى النصر، بل حتّى إلى شرف الدفاع عن النفس. يقول منصور مصوراً ذلك "تراءى لي الشرق: ملوك مهزومون، ديوك منتوفة، رجال يريدون أن يتصوروا ولو للحظات أنهم يمتلكون العالم". (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 275).

التزييف عند الأنظمة السياسية: تذهب روايات منيف إلى أن التزييف وجه من وجوه المخادعة والاستغلال تلجأ إليه السلط السياسية في الأقطار العربية حتى تمنع كل وعي بالحقائق والأوضاع وتقمع كلّ معارضة أو بادرة ثورة ضدها. ومجالات تزييفها وطرقه كثيرة جداً أبرزها موصول بالدين والتاريخ أمّا الدين في روايات منيف، فهو الدين بصفته سلطة يمارسها رجاله وكنايسه ومن يزعم أنّه وصي عليه حام له. كلّ هؤلاء جعلوا الدين في العالم العربيّ إسلاماً كان أو مسيحياً كذباً وخناء وسرقة واستغلالاً وهزيمة، ممّا دفع بشخصيات منيف إلى ألا تهتم بالدين وألا تثق بأصحابه ودعائه أدنى ثقة. فالإلياس نخلة قاطع الكنيسة منذ صباه وكره رجالها وأبأها كرها شديداً. أما زكي نداوي، فأعلن ربوبية الإنسان وعظمته وتحدى الإله واستفرد بالسخرية منه وبقتل ما يخلقه من طيور في لذة وانتشاء. وكذلك منصور عبد السلام أعلن وهو يمتطي القطار في رحلة المقاومة وإنقاذ الذات، قطعه العلاقة كلياً بالدين وأصحابه والذين يدعون التدين وخدمة الدين وحفظه والترويج له في العالم العربيّ كانوا في نظر أبطال منيف منافقين متظاهرين. فخوري قرية "بيلة" ربط علاقة خنائية مع نهدة – التي تباع جسدها للرجال فكان إذا ذهب إلى لقائها يتنكر مثلثاً. والرجل المسلم الذي يصلي ويصوم ويتبع تعاليم الإسلام، ليس حسب منصور إلّا سارقاً متستراً، يخدع ويكذب ويستغل غيره. فهذه الفئة من الناس تتخذ من الدين ستارة تخفي بها المنكرات التي تقترفها كلّ آن، بل ويكون الدين عندها مطية فتغتم باسمه الكثير "إنهم يحدثونك عن الرب يقولون هذه الحياة ما هي إلّا رحلة قصيرة. أمّا ملكوت السماء ... أمّا ... أمّا وفي النهاية يكونون وحدهم الذين يملكون الجنة أيضاً!". (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 126) هذا هو الدين في الشرق العربيّ كما استخلصنا من أقاويل الشخصيات وآرائها: خسة وكذب وستارة واستغلال وانحراف وفساد كبير حتّى بلغ الأمر بزكي نداوي بطل حين تركنا الجسر إلى وصل الدين بالهزيمة. (عبد الرحمن منيف، 1980، ص 136) وصورة ذلك كما نفهم من الرواية، أنّه بعد نكسة حزيران سنة

1967 التي مني بها العرب سياسيا وعسكريا جندت الأنظمة السياسيّة كل شيء من أجهزة قمع وثقافة ودين لمنع الجماهير الشعبيّة من الاحتجاج ضد القادة العرب ممن قادوها إلى الهزيمة وإخماد نار الغضب والحقد ولسعات المرارة. فسوّر الدين الهزيمة على أنّها قدر الله وحده وهو الوحيد القادر على تغييره فمن الكفر أن يحتج المرء عليها وإن كان ملتاغا وأما تاريخ العرب حسب منصور عبد السلام، فهو تاريخ الملوك والقادة والحكام: قصة طويلة وحزينة أحداثها كما يقول "سلسلة من عمليات القرصنة والخيانة والقوادة، بدأت منذ فجر التاريخ ولم تنته بعد... سلسلة من العلاقات الجنسيّة والمؤامرات التي كان على رأسها دائما الجوّاري" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 263). فما في وقائع العرب حسب منصور غير الفتن والمؤامرات والخيانات والسرقات وأبشع أشكال الاستغلال والنهب وما فيها غير الركود والتخلف والانكسار والتملق طلبا لرضى من هم أكبر وأقوى. هذه الحقائق التّاريخيّة يعرفها بعض الناس ولكنهم يخفونها ويحتفظون بها لأنفسهم لأن رجال السياسة المعنيين قرروا أن يخفوا فضائحهم ويطمسوا الحقائق ويزوروها. ففي كلّ قطر عربيّ حقائق مغيّبة وتواريخ موضوعة بعد تخطيط وانتقاء دقيقين بحيث تلائم الساسة وتخدم مصالحهم وأغراضهم. فتشتبك الوقائع وتختلط بين تلك التي وقعت فعلا وتلك الموضوعية التي ابتدعتها الخيال، حتى يصبح التّاريخ الذي يستमित البعض من أجل إثبات موضوعيته والإقناع بشبه قدسية حقائقه وتعاليلها عن كل مصلحة أو غاية عاجلة أو آجلة، مجرد سلسلة من الافتراءات والأكاذيب. وقد توخت الأنظمة السياسيّة العربيّة طرقا في تزييف التّاريخ وقلب الحقائق منها كما جاء على لسان منصور عبد السلام وزكي نداوي، المسارعة بطمس بعض الحقائق وتغيير البعض الآخر فيحذفون ما يشوه صورتهم ويزورون ما يكشف ذلهم وخيانتهم من مؤامرات وتواطىء. ومنها إجبار المؤرخين وكلّ من له علم بالحقائق على أن يخفي الأمر، فيحاصرون وتشدد عليهم الرقابة في كلّ مكان يقصدونه وفي كلّ كلام يتفوهون به خاصّة إذا كان أحدهم أستاذا للتّاريخ مثل منصور عبد السلام فيحولونه بقوة القمع والردع إلى أستاذ للأكاذيب. ومنها كتابة تاريخهم الشخصي فيهتم رجال منهم "يحملون النظارات السمكية" بتلفيق الأكاذيب عن الأمجاد والانتصارات ومواقف الفخر والشهامة. وبعض الحقائق التّاريخيّة التي كشف منصور عبد السلام وزكي نداوي زيفها دليل على أن التّاريخ يصنعه الساسة وأنهم وحدهم قادرون على إلغائه نهائيا متى شاؤوا. يقول منصور عبد السلام "تأتي مراحل الجوّاري والقصور ... البرامكة، القرامطة، صفية الأمانزي، عبلة عشيقه الخديوي... ثم تنصيب الملك فيصل على عرش التّاريخ المعاصر، وعد بلفور، الرصاصة الأولى، الثورات، الهزائم، أين هي الحقائق، أين هي مصادر التّاريخ؟ العادة الانكليزية تجعل الوثائق حتّى السريّة ملكا للناس بعد مرور خمسين سنة على صدورها... أما تاريخنا... ما هو تاريخنا؟" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 254). وقد أدرك كلّ من منصور عبد السلام وزكي نداوي أن أعظم كذبة عند العرب محورها النكسة في حزيران 1967 فشغلتهما الأسئلة حول من ساعد من السلط العربيّة على صنع النكسة؟ ومن قاومها؟ ومن أمر جيوشه بالحرب ومن أمرهم بالتراجع؟ ... إلى غير ذلك من الحقائق التي أخفاها الساسة حين أنكروا كما لاحظ منصور وزكي أن تكون الهزيمة وقعت فعلا، وظلوا يشيعون ذلك ويفخرون به. يقول

منصور "الحرب حصلت يا منصور. كلنا يعرف ذلك، ويعرف أيضا أن الهزيمة كبيرة وممريرة لدرجة لا تخفى على أحد أما الكلمات التي يقولونها فإنها لا تقنع قطا، لا تقنع حتى الأطفال! لكنهم يقولونها ... يقولونها بأصوات عالية، وفي كل وقت" (عبد الرحمن منيف، 1979، ص 249).

ويمكن للنّاظر فيما قدّم منيف في ثنائيا رواياته من نقد للأوضاع السياسية في الشرق العربيّ، استخلاص أنّ رواياته رسالة سياسية محورها فضح ظروف القهر والقمع والحثّ على تغييرها.

وقد اتّضح ذلك جليّا كما قدّمنا، في اهتمام الشخصيات الروائية بقضايا المجتمع وأوضاعه وجمعها بين كشف الحقائق من جهة، واستجلاء أسبابها وأبعادها من جهة أخرى. وهو أمر وافق كتابة منيف رواياته في النّصف الأوّل من السبعينات والشعوب العربيّة قاطبة مازالت تجتريّ هزيمة حزيران 1967 ولوعة السقوط في مسارب الحيرة والاضطراب ولا بدّ من الإقرار هنا، بأنّ روايات منيف تتدرج من هذه الزاوية ضمن ما سمّاه النّقد العربيّ، أدب الرّفص. وهو الأدب المنذّر بصورة حاسمة وجليّة بممارسات السّلطات السياسيّة. فشرق المتوسط من بين رواياته، إدانة واضحة للسياسة في العالم العربيّ صيغت غالبا في لغة وصفية مباشرة على أنّ الناظر في مشروع منيف الروائي وقد مثّلنا عليه بالأشجار واغتيال مرزوق وشرق المتوسط وحين تركنا الجسر خاصّة، يتبيّن حرصه وهو يكتب عن الأوضاع العربيّة، على أن لا يصوغ نصّا أسير وطأة الواقع معجما وصورة. ومن ثمة إمكان الجزم بتميّز كتابته مقارنة بالروايات ذات الأطروحة السياسية، بضرب من المغايرة في طريقة الكتابة وصيغ البناء والتشكيل. وهو ما يفسّر أنّ شرق المتوسط مثلا، على عنايتها الكليّة بفضح ما يُعاني المعارض السياسيّ في العالم العربيّ من سجن وتعذيب، اتّسعت لمظاهر من التّجريب في الكتابة الإبداعية. فهذا النصّ عبارة عن أوراق وصف فيها رجب إسماعيل بطل الرواية معاناته وطلب من أخته أنيسه أن تضيف إليها قبل نشرها. وقد فعلت، فجاءت الرواية متعدّدة الأصوات والمواقف متمردة على أحاديّة الرؤية كاسرة لمنطق الزمن خارجة عن صرامة البلاغة مستبدلة إيّاها بلغة ذاتيّة برمّة المجاز مختلفة مستوياتها وأنماطها. وهو ما يعني أن منيف يكتب الواقع السياسيّ العربيّ عبر البدائل الفنيّة. وقد كان ذلك شأنه في روايتي الأشجار واغتيال مرزوق وحين تركنا الجسر خاصّة حيث عمد إلى استنطاق هزيمة حزيران 1967 باعتبارها حدثا للسياسة العربيّة فيه الدور الأكبر، عبر فضاء تخيليّ اتّسعت معه إمكانات الرمز والتأويل والاحتمال. لهذا السبب، اعتبرنا حين تركنا الجسر من أكثر روايات منيف ترجمة عن تحول الواقع السياسيّ العربيّ في النصّ الروائيّ، إلى نسيج من العلامات والصور والأخيلة والرموز لأنّ لم تغم معها الدلالة على الواقع، فقد نأت عن المباشرة والتسطيح.

3. النكسة العربيّة بعيون أدبيّة.

اخترنا الحديث عن هزيمة العرب 1967 أو ما سُمّي فيما بعد بنكسة حزيران لكونها من أبرز ما استحضرتّه الشخصيات في روايات منيف، وأشارت إليه جرحا ينزف في وجدان العرب. ومنيف برواياته هذه إنّما يساهم فيما سُمّي بحملات النقد والتعريّة التي انتشرت في العالم العربي إثر حدوث الهزيمة بين مُندد بتخلف العرب التكنولوجي

ومُشهر بتأخرهم الحضاريّ ومُغفل كلّ ذلك مؤكداً أنّ الهزيمة سببها تخلف العرب السياسيّ والإيديولوجيّ وأنّ المسؤولية عنها، الأنظمة السياسيّة العربيّة الرجعيّة. وكان عبد الرحمن منيف من بين هؤلاء، يتفرد في رواياته بطرح خاص لنكسة حزيران وذلك خاصّة في حين تركنا الجسر. فهو يحفر في ذاكرة العربيّ يُحيي فيها من جديد الهزيمة مستحضرا أطوارها واصفا ما خلفته في النفس من عذاب وانحمار، بل ما خلفته في كلّ شيء من أسي ومرارة. ويذكر منيف صراحة أنّه أراد أن يقول في حين تركنا الجسر "انظروا كم هي الهزيمة مرة وقاسيّة ... وانظروا أيضا إلى آثارها التي تبدو في كل الأشياء حولنا" (ياسين نجمان، 1997، ص 15) فنكسة العرب مثلت سببا لواقع جديد سمته الغموض والاضطراب والتراجع والتسليم ومثلت كذلك نتيجة لسنين طوال من التخلف على كل المستويات التكنولوجيّة والاجتماعيّة والسياسيّة. وهو تخلف ترجم عن نفسه في مظاهر كثيرة عبر عنها منيف في رواياته، لكن في إطار فنيّ يكاد يكون "رومانسيا" في زمن تغلغل التيارات الامبرياليّة الاستعماريّة وتقهقر الأنظمة السياسيّة العربيّة وتنامي قوى الجهالة والتخلف في الأقطار العربيّة. لذلك فإنّنا منذ تلقى زكي نداوي في الصفحات الأولى من رواية حين تركنا الجسر، تلقى الهزيمة معه، ترافقه في رحلة صيده ونشعر كأن صحبتها قديمة، لم يكن مبدؤها حدثا معيّنا. فكأنها لشدة تأثيرها في زكي قد استقلت عن مولداتها لتصبح شيئا منه، شهقة من شهقاته أو أنه من أناته. وهو ما يفسر قول الناقد فيصل دراج عن حين تركنا الجسر "إذا كان القارئ المتتبع لحياة عبد الرحمن منيف والواقع العربيّ بإمكانه أن يدرك وبشكل ما أنها مرتبطة بهزيمة حزيران فإنّه من الصعب لقارئ غير عربي أن يراها إلا كنوع من الخطاب الهوسي الذاتي المोगل في الذاتية لشخص مهزوم". (فيصل دراج، 1988، ص 242) فكان نكسة 1967 بهذا المعنى، أشبه في رواية منيف بعنصر براني لا يعكسه النص حقيقة أو إن ما في النص من أخيلة وصور ورموز قد حولت النكسة عن بعدها التّاريخيّ فداخلها من أثر الفنّ غموض انحراف بها عن ضوابط الواقع والحقيقة. وهو ما يثير جملة من الأسئلة يتصل أبرزها بكيفيّة حضور السياسة وشؤونها في الأثر الأدبيّ وبما ينجر عن تفاعل الفن ومعطيات الواقع على مستوى التشكيل وطريقة الكتابة. فهل يُدعى الأديب المعني بالحديث عن الشأن السياسي إلى صياغة كتابة واصفة محللة مفكرة أكثر منها فنية تخيلية أم يُدعى إلى تحويل الواقع السياسي إلى خزين ثقافي يرفد النصّ الأدبيّ بصفته نمطا في التعبير والتغير كذلك ؟ يُشير الناقد محمد كامل الخطيب في حديثه عن رواية حين تركنا الجسر إلى وجود "الحكاية" من ناحية، و"الرّواية" من ناحية أخرى. والحكاية هي الأحداث المشكلة لمادة الرواية في حين أن الرواية فضاء المتخيل المشحون رموزا. لذلك يُعرّف الخطيب الرّواية بكونها "النسيج الفنيّ وتلك الرّؤية الفكرية اللذين يعلمان الحكاية، فيرتفعان بالحدث، باليومي، إلى رحابة رؤية العالم، عبر شبكة أو نسيج العلاقات الرّوائية، والتي هي مهما كانت مغرقة في الواقعيّة تضمّر، أو تخلق رمزا كبيرا هو الرّواية. والرّواية هي المفهوم عن العالم أو رؤيته" (محمد كامل الخطيب، 1984، ص 46) فهي فضاء فنيّ رمزيّ يعلو بالحكاية من الضيق والمحدودية إلى ضرب من الرحابة فتتكشف المعاني وتتزاحم كاشفة عن رؤية الفنان لما يحيط به. ويجد الناظر في رواية حين تركنا الجسر أنّها تستجيب فعلا لهذه الثنائية، حكاية/ رواية وترسم عبر طرق في

التعبير والتشكيل ضربا من المراوحة على مستوى النص بين المنحى الواقعي وربما حتى التقريري والوصفي المباشر، والمنحى الرمزي والتكثيفي الاختزالي. فموضوع هذه الرواية عن صياد يصطحب كلبه إلى ما يشبه الغابة منتظرا أسراب الطيور حالما بالبطة "الملكة". وفي كل ذلك كثافة في المكان والزمان والأحداث والمعاني، كثافة تشد وتلتبس فتعمق الرموز. ثم تتضح الأمور شيئا ما أو إن انتقالا أو انفراجا أو تفجيرا في المعاني يتم بصورة أو بأخرى، فيجعلنا نؤول ما كان مكثفا ونفكك ما كان مركزا. فإذا بالصيد الذي يذهب إليه زكي قناع أو لبوس يلبسه، وإذا انتظاره الطيور وحلمه بالبطة رمزان لبعض ما يعتمل في نفسه ويترسب في ذهنه وإذا البطة ذاتها رمز كبير يفرد جناحيه على الرواية كلها شأن الجسر الذي تملك ذاكرة زكي، وإذا زكي نفسه الرابط بين الوقائع وما ترمز إليه، رمز للإنسان العربي. ولما كان زكي نداوي يذكر طوال الرواية ألفاظ الهزيمة والخيبة والفشل ويسترجع ذكرى مرابطته والجنود قرب الجسر ينتظرون عبوره لخوض المعركة مع العدو، اتضح حرص منيف على صياغة حدث الهزيمة العربية في إطار تخيلي رمزي تنكشف فيه الخيبة عبر ما تخلفه في الشخصيات والأشياء من أثر وعبر ما ينعقد بين هذه وتلك من علاقات. وفي هذا الإطار تماثلت حالتا زكي نداوي النفسية والفكرية، وحالة الفضاء من حوله. فرسمت عناصر الوجود مدى إحساسه بالهزيمة وتأرجحه بينها وبين الأمل. يقول "كنت أرى بريقا أخضر يتموج كأنه حقل حنطة تضربه الريح. وكنت أرى الهزيمة حفرة مليئة بالوحل تشدني". (عبد الرحمن منيف، 1980، ص16)

ويأتي زكي من الأفعال ما يكشف فعلا عن مواقفه من النكسة وحرصه على تغيير واقعه. لهذا تعتبر رحلة الصيد التي خرج إليها زكي نداوي في حين تركنا الجسر، والبطة التي سعى إلى اقتناصها والجسر الذي شغل ذهنه طوال الرحلة، رموزا لواقع عربي سياسي محوره هزيمة حزيران. وقد اختار منيف أن يجعل لذلك الواقع بدائل تخيلية وفنية تملئها معاناة الهزيمة أكثر من تحليلها والتفكير فيها، صورة لما يفرزه جدل الأدب والسياسة في نص روائي. فحين يخرج زكي نداوي إلى الصيد عوض أن يغلق باب بيته ويختلي بنفسه وعوض أن يعود إلى مباشرة حياته اليومية السالفة، فلأنه وجد في الصيد طريقة إلى تفجير أحاسيسه المكبوتة وإلى إعلان موقفه مما حصل له ولرفاقه الجنود عند الجسر. ففعل الصيد الذي ينجزه زكي في الغاب حاملا بندقيته مصطحبا كلبه ورددان، هو فعل رمزي ذو دلالة كبرى موصولة أساسا بالنكسة العربية في حزيران 1967.

ويذكر عبد الرحمن منيف في حديثه عن حين تركنا الجسر "أن هذه الرواية محاولة تسجيل الهزيمة بآثار محددة، كان إطارها الصيد. وكان حزيران جوها" (ياسين نجمان، 1997، ص10) فالهزيمة عند الجسر، حصلت منذ زمن بعيد تحيل الرواية عليه، لكن وقائعها ووقعها لم يفارقها ذهن زكي، فخرج إلى رحلة الصيد يسترجع فيها ذلك ويقاوم أثره. ولما كان زكي يقاوم، فقد انهزم مرات وتشبث بحلم الظفر والانتصار مرات، وتأرجح كثيرا بين اليأس والأمل. كل ذلك وهو يصطاد مطاردا الطيور والبطة منها خاصة متحدثا إليها. وهو ما يفسر أن زكي نداوي اختار للصيد مكانا شبيها تمام الشبه بذاك الذي التقى فيه مع أصحابه الجنود فبنوا الجسر ثم تخلوا عنه. غايته أن

يفعل ما مُنع من فعله وما عجز عنه كذلك وهو النصر. فهو إذ يعلن الحرب على الطيور ويفتك بها متشفياً، يعوض عن خضوعه لأوامر قادته بالانسحاب. فقد كان الصيد أشبه عند زكي بحرب من نوع جديد، واللغة التي استعملها زكي تثبت ذلك، فهو يتحدث عن مكان استراتيجي يمكّن من النصر دون غيره، وعن المحاصرة ومسافة الأمن – وهو تعبير عسكري – وعن الموت والضحايا والفشل والخيبة والهزيمة وعن النصر والمجد، ويذكر الرمي بالرصاص، الرمي في الصدر والضرب من الخلف "الضرب من الخلف جبن، في الصدر بطولة" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص45). هذا كله يذكره وهو يتحدث عن الصيد والطير ويسترجع وقائع الهزيمة العسكرية عند الجسر ويصف ما خلفته في نفسه من ذل ويأس. وزكي في الحقيقة لم يعلن الحرب على الطيور، إلا لاصطياد البطة أو الملكة الساحرة كما يسميها. فرحلة الصيد التي خرج إليها وما حدث له فيها، توحى بأن البطة كانت مشغله فلم يحلم بغيرها ولم يفكر في سواها ولم يسع إلا إليها يقول "أريد أن أقف مرة واحدة فوق تلة الذهول فوق جسدها، وانتهى!". (عبد الرحمن منيف، 1980، ص106) فما يسعى زكي إليه ببحثه عن هذا الطائر، أشياء على صلة بروحه وحياته وماضيه. يقول متخيلاً سقوط البطة وانهيارها "سأترك وردان يركض، لكني سأركض وراءه كبطل أسير أتيح له الهرب" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص194). ونفهم من سياق الرواية أن هرب زكي سيكون من هزيمته في الغابة حين يحاصر البطة فتقتل منه ساخرة ومن هزيمته عند الجسر التي نمت وترعرعت في ذهنه وقلبه حتى صارت عنده أكبر من كل شيء. فالبطة عند زكي الندائي وعد بحياة جديدة. لذلك يكثر من تخيل انهيارها وصوت سقوطها (عبد الرحمن منيف، 1980، ص180) وكأنما لا بد لانتصاره أن يكون بحجم هزيمته وهولها وثقلها، حتى يمحو ما حصل يوم التخلي عن الجسر. والصلات كبيرة بين البطة والجسر حتى أنها ترحل إليه "إنها هناك وراء الجبال، وربما قريبة من الجسر" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص135) فلأن الجسر اختزل حلم الرجال بالعبور والفعل والتغيير على كل المستويات، مثلت البطة الجسر، بل كادت تتحد به فيصبحان واحداً في ذهن زكي. لذلك رأى في جمالها بهاء الجسر ورونقه، وفي عزتها هيئته وشموخه، وفي بسالتها وشدة أجنتها قوته وروعته، وتصوّر أنه حين يقتلها ينصب الجسر من جديد ويدافع عنه حتى آخر رمق في حياته، ولئن كانت البطة حلم زكي ورمزا لأحلام له كثيرة، فما شده إليها غير ذلك أيضاً. فقد اختار أن يحاربها ويسعى إلى الفتك بها لأنها رمزت إلى هزيمته وإلى خصمه الذي أحب أن يلقاه يوم الجسر فمنع. يقول مخاطباً نفسه وهو يحاصر البطة "قلت بتحد: وأنت، أيها الفارس تقاوم الآن الهزيمة! وررفت الملكة في ذاكرتي" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص152). فالملكة البطة هي الخصم المهدد بالهزيمة، جاء زكي يحاربه. ومثلما خرج زكي إلى رحلة الصيد ليطلق الرصاص ولا يتقهقر، خرج إليها كذلك ليعاقب نفسه على جبنها وتخاذلها. والباحث عن مظاهر ذلك في الرواية، يجد أن الإطار المكاني والطبيعي الذي احتضن رحلة الصيد، كان من أكثر الأطر في روايات منيف استحضارا للهزيمة وإحياء بها. فالمكان هنا عبارة عن غوطة تعص بالمستنقعات والمياه والأوحال والأشجار وكلها لا تشي بغير الخيبة والقبح والعجز والتشويش والقلق والضبابية

فالمستنقعات كثيرة منخفضة، والمدى بينها فسيح ممتد، وما يُرى من ألوان يطفح بالقبح والقرف. فالماء الأخضر في النهر تسيل طبقة العليا وحدها وما يبقى يعجز عن التجدد ويصفر و"الخضرة الطحلبية تملأ كل شيء وتعطيه ذلك اللون الأخضر الكامد الحزين" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص74) والأرض صفراء رمادية والسماء باهتة الزرقة. أما الأشجار فلا قوة ولا خصوبة ولا جمال، والأرض تحولت في نظر زكي نداوي ملحا أسود. والرياح تنفجر في كل مكان شديدة حادة عاتية وتعربد في وقاحة "حتى لتبدو في لحظات وكأنها تمتطي الأشجار والمستنقعات وتبقى فوقها" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص155) وقد كانت الرياح باردة مسنونة تغرز أنصالتها في عظام زكي نداوي، تهزه هذا وهي تسخر بل لقد كانت تفتت السخرية في الكون كله حسب زكي لأنها "نفس الريح التي كانت تهب في تلك الأيام" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص37) أيام الهزيمة... أيام حزيان المشؤومة كما يقول. وفقدت الشمس ما به تكون من تألق واكتمال ودفء فصارت تنزلق انزلاقا سريعا لا جدوى منه، والغيوم تتراكم مهتاجة وراءها ممسكة بها عابثة بها شر عبث (عبد الرحمن منيف، 1980، ص153). وملامح كثيرة تجمع بين هذا المكان الذي يختاره زكي إطارا لصيده وذاك الذي وجد نفسه فيه لينهزم ورفاقه الجنود. فهذا وكر للطيور، زراير ودجاج أرض وحجل وبط، وذاك ضجت الطيور بأنواعها فيه وتراكضت وسكنته حيوانات صغيرة منها سلحفاة احتفظ بها زكي وأراد: "أن تكون رمزا لصمود من نوع ما". (عبد الرحمن منيف، 1980، ص68) كذلك وجدت في المكانين خنادق، ووجد نهر ومياه وأشجار. فقد "كانت المياه هناك تتدفق والنهر ... وأشجار الحور..." (عبد الرحمن منيف، 1980، ص188) ووجد فيهما جسران مثل أحدهما محور هزيمة زكي والجنود ورمزها.

ولعل الهزيمة من أبرز ما جمع بين المكانين ووصل. فالجسر الذي يراه زكي صيادا يذكّره بالجسر الذي انهزم عنده جنديا ويبعث في نفسه من جديد مشاعر الخيبة والحسرة "ذكرتني البرودة بصلاية الحقائق ولا أعرف لماذا التفت إلى الجسر وكأنني أحسست بشيء". (عبد الرحمن منيف، 1980، ص204) وقد كان في المكان الذي اختاره زكي لرحلة صيده ما يعوقه عن التقدم ويحول دونه ودون صيد البط من مستنقعات كثيرة منتشرة لا يأمن الصياد أرضها إذا غاص فيها "دست في الماء لأختبر أرض المستنقع، كانت الأرض رخوة. سمعت لقدمي صوتا وهي تنغرز في الطين، سحبتها" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص197). وكانت الأشجار بعضها مرميا على الأرض قد اقتلعت الثلوج وبعضها منتصبا في ضعف وعجز، كأنه بلا جذور. فما ارتدى على الأرض عاق حركة السير، وما انتصب فوقها ضعيفا هدد بالسقوط والهلاك. و"كانت أعواد القصب كرماح هوجاء تقف وتسد الطريق" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص196) فليس هذا المكان بالأمن، والسير فيه عسير شاق، مثله مثل المكان الذي انهزم فيه زكي ورفاقه تماما. فيومها انتصبت الحواجز والعراقيل هائلة في وجوههم وعاقبتهم. كانوا مهددين في حياتهم لم يستبعدوا هجوم العدو عليهم، ومعزولين عن العالم الآخر لم تصلهم أخباره، والانتظار يكاد يقتلهم، انتظار عبور الجسر وسحق العدو. فأمضوا الساعات يحلمون بذلك ويتخيلونه ولم يتحقق الحلم فعمت الخيبة. وزكي

نداوي اليوم، بهذا المكان الذي يعسر فيه على الصياد الصيد بله السير، يستحضر عجزه وقصوره وارتداده وقساوة قدره يوم هزيمة الجسر التي يرجح ذكر لفظتي النهر والحولة وقوعها في منطقة نهر الأردن وبالتالي في فلسطين. وينتهي الدارس لرواية منيف الباحث في استعمالات الجسر وسياقاته ومعانيه، إلى أن توظيفه كان على المستويين الالئيين الواقعي التاريخي والرمزي التجريدي دون فصل بينهما وتفريق. لأن منيف قصد إلى التعبير عن أحداث تاريخية نكست العرب وقصد في الآن نفسه إلى الرمز إلى ضرورة تجاوزها. لكنه اختار الإيحاء بتكثيف الأفكار وتعميقها في الروايات. يقول "ليس المطلوب من الروائي أن يحشد كل أفكاره ومعارفه في رواية واحدة. إن عملية التكثيف والتعميق، هي ما حرصت عليه في شرق المتوسط وفي حين تركنا الجسر وهذا يرهق القارئ العادي، كما يرهق الروائي كثرة الأحداث وتشعبها... كان يمكن أن أذكر بوضوح هزيمة حزيران، فلم أرد أن أسطح الأحداث في شكلها المحدد" (محمد عز الدين التازي، 1978، ص122) وهزيمة حزيران هنا، هي مثال للحدث التاريخي الواقعي الذي ذكر به الجسر من بين أحداث وأشياء أخرى ذكر بها إيحاء ورمزا وليس صراحة. فأهم ما يشد انتباه القارئ في حديث زكي نداوي عن الجسر، اقتران هذا الأخير بالهزيمة في ذهنه ودلالته عليها، بل ربما مثل الجسر أحيانا كثيرة، الهزيمة نفسها يقول زكي: "كنت أفكر بالجسر والهزيمة"، "وفكرت بالجسر اللعين، بالهزيمة" "وفكرت بالجسر، شعرت بالخيبة والضياع وبآلاف الأحزان" "وتذكرت الجسر قلت بأسى، الهزيمة إذا بدأت لا تنتهي وعلي أن أفعل شيئا" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص14-81-165-209). فهذا الاقتران شبه الكلي بين اللفظتين، يذهب بالقارئ إلى اعتبار الجسر رمزا للهزيمة عند زكي. فهو وحيد مهمل ذليل ذبلت الأشجار فوقه وتراكم الغبار بين مفاصله المنهكة الضعيفة. وهو مندحر منهزم، هزمه قدره ففقد بهاءه وقوته، وهزمه البشر فأهملوه ولم يعبروه ولما كان الإحساس بالهزيمة شاقا شديدا على النفس، فقد زكي الثقة في مفاهيم كثيرة صار لها طعم الوحل مثل المجد والكرامة والبطولة وشعر بالخيبة والمرارة وضيق السبل ففقد الثقة في نفسه وفي قدرته على المقاومة والصمود والنجاح وسعى تعبيراً عن ذلك كله وتشفياً من نفسه، إلى أن يعيش في رحلة صيده الهزيمة نفسها، تلك التي عرفها ورفاقه عند الجسر. فأول ما نلاحظه أن زكي خرج إلى الصيد في شهر شباط وهو الشهر القاسي الخبيث في نظره إذ تكون الطبيعة فيه قاسية شديدة وسريعة القلب تدفع بالصياد إلى أن يحتر وتختلط عليه السبل حتى لا يعرف كيف يتصرف أو إلى أين يذهب. ثم إن زكي بخلاف ما يعتقد بعض النقاد (محمد عز الدين التازي، 1978، ص118)، ليس بصياد محترف. بل إن أشياء كثيرة في الرواية تثبت خروجه إلى الصيد لأول مرة "أريد أن أكون صيادا... أحاول أن أكون" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص56) فإذا فسر له الصياد العجوز كيف يسوق "شباط" الطير الكثير، هز كتفه "لدلالة عدم المعرفة والاستنكار" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص158) وإذا رأى الطير، لم يعرف كيف ينقل البندقية من يد إلى أخرى. وقد يفاجئه الطير وهو على غير استعداد فيتوتر وينقبض ثم يشتم نفسه متوعدا. أما إذا تهياً للطير وصوب باتجاهه، فإن حالة من غريبة من العصبية والارتعاش والغضب والانفعال تتمكن منه ويفقد بعدها القدرة على رمي الرصاص. فزكي يخرج إلى الصيد في شهر خبيث يحتر فيه

الإنسان وبلا تجربة أو احتراف يعينه، وليس ذلك إلا لأنه اختار لنفسه عملاً لا يتقنه حتى يمتد سعيه ويطول انتظاره للطير. فهو يتعلل بالصيد، ليتذكر مصائبه وخيباته. ويتوهم أشياء كثيرة ليعيش مصائب وخيبات جديدة منها أن البطة ملكة والطيور جواربها ملكية نبيلة. والملوك لا تستسلم بسهولة، لذلك فإنها لا تعطي نفسها للصيد. ومنها أن البطة خبيثة ذكية عيونها حادة، فإذا طارت كادت تتحد مع السماء، ومن علوها الشاهق تنقب الأرض باحثة عن زكي. أما إذا قاربت الغابة فإنها تكون كالرياح أو "كالحرية" فلا يمسك زكي بها. ولا بد لصيدها من نبوءة تعدّه تماماً للقبض عليها، وإلا فإنها سعيدة بتعاسته تتسلى بانتظاره وتوتره. فإذا توعدّها، وذاك ما يحسنه، سخرت منه ولم تحفل به لأنها تعلم فيما يرى زكي أنّه "مخصي" مهزوم جاء يعوض عن هزيمته وأن كلماته جرباء بليدة. هذا ما كان يدور في ذهن زكي وهو ينتظر الطير ويحاصره، وهو يرفع بندقيته ليصرعه. لذلك كان يضطرب ويتوتر ويفقد القدرة لعلمه أنّه يحارب محملاً بهزيمته متوقفاً غيرها يقول "لن نصل إلى الضفة الثانية. مازلنا في طور الهزيمة" (عبد الرحمن منيف، 1980، ص142)

لقد مثلت هزيمة ح�يران 1967 في أدب منيف حدثاً تاريخياً هاماً وأزمة حضارية بارزة وكانت لها في رواية حين تركنا الجسر خاصّة أطوار ومراحل لم تجانب ما حصل تاريخياً. ومع ذلك بدا كأن طريقة منيف في صياغة تلك الهزيمة تتسم ببعض الرومانسية. ذلك أنّ النكسة أشبه عند زكي نداوي بطل الرواية بهم ذاتي شخصي وظّف منيف للدلالة عليه سياقاً رمزياً زاخراً بالرموز والأخيلة، صورته ما أوحى به رموز الصيد والجسر والبطة الوثيقة الصلة كما بينا بنكسة ح�يران، من معان وأبعاد تأرجحت بين الحلم بالانتصار إلى حدّ اللهفة والالتئاع بالهزيمة إلى حدّ الهوس والهذيان. وإن كان ذلك في الرواية من علامات إغراق الشخصية الروائية في القناتمة والتشاؤم، فإنه لم يرتفع بها عن الواقع ومعطياته. فظلّ الحزن عندها موصولاً بأوضاع مظروفة عقدت وشائجها بالعالم الخارجي. وهو ضرب من المزوجة بين المنزعين الذاتي والموضوعي كشفت في رواية منيف عن تمثيل الفرد على عزلته وشدة يؤسه، لهموم الجماعة طبقة أو فئة أو شعوباً عربية. وهو ما يبرز أن الشخصية في هذه الرواية لم تكن رومانسية أو ملحمية بقدر ما كانت نتاج تفسخ في الظروف السياسية والاجتماعية العربية. وتجدر الإشارة إلى أننا استأنسنا بما قدمته الباحثة نجوى الرياحي القسطنطيني، الحلم والهزيمة في نماذج من الروايات العربية، (نجوى الرياحي القسطنطيني، 1995، 1999) - وقد صدر منيف في ذلك كما يكشف النصّ الروائي، عن أن الخلاص من القمع بأصنافه لا يكون إلا بعد استحضاره واستجلاء مظاهره وأبعاده. وهو ما فعله زكي نداوي بصورة خاصّة في رواية حين تركنا الجسر من دون أن يتحول النصّ الروائي إلى وثيقة عن طبيعة الأنظمة السياسية وملاحمها وممارساتها. مما يعني أن منيف سعى إلى المداخلة بين الهاجس السياسي والهاجس الفني، من ثمة صياغته عالماً روائياً رمزياً متوتراً تتنازع الخيبات والآمال تأرجحاً بين الفعل والعطالة والإقدام والارتداد، وصراعاً فيما بين الأشياء من جهة وبينها وبين الإنسان من جهة أخرى وصراعاً بين الإنسان وذاته والإنسان والآخر فرداً كان أو أنظمة سياسية أو دينية أو اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية.

4. خاتمة:

إنّ الكتابة الروائية بصفتها نمطا من التعبير وفاعلية في تكوين هويّة الأفراد والمجتمعات، كانت أقرب عند منيف إلى السؤال حول أوضاع الإنسان والشعوب عامّة في ظروف القمع. من ثمة مداخلته بين السياسة وشتى مجالات الحياة، ومداخلته بين نقد الأنظمة والمؤسسات ونقد الأفراد. ومن ثمة كذلك حرصه بين ذاك وهذا على شحن نصه الروائيّ علامات تنضح بأسئلة الإنسان وهزائمه وأحلامه. فهي إشارة في روايات منيف إلى أنّه مهما علت خبرة الكاتب الفنيّة، لا يلغي الأدب الواقع ولا يتخلّى عن دوره في نقده. وهي إشارة كذلك إلى أن الأدب مهما تأكّدت صلته بالواقع، لا بُدّ أن يصدر عن معاناته والانفعال به أساسا، فلا ينقله نقلا آليّا مباشرا، بل يُعيد صياغته عبر الصور والأخيلة والرموز. بذلك فحسب، يقوم ثنايا النصّ الإبداعيّ ضرب من الجدل بين الأدب والسياسة يتضح معه أن الإبداع يظلّ مُمكنا مهما اشتدّت عوامل القمع وأن الكتابة يمكن وإن داخلتها السياسة وشؤونها، أن تظلّ فنيّة، بل وتتسع حتّى لآفاق الحداثة والتجريب.

إنّ انشغال منيف بطرح الواقع السياسيّ في رواياته يشي بمعنى الالتزام في الفعل وتحمل المسؤولية التي أقرتها الماركسيّة كمفهوم جوهريّ على أساس نظريّة الانعكاس، إذ يعكس الأديب أو الفنان الوضع الاجتماعيّ القائم والعلاقات الاجتماعيّة السائدة في المجتمع. فالأدب والفنّ يُشكّلان جزءا من البنية الفوقيّة للمجتمع التي تعكس بنيته التحتية. وفي هذه النقطة يقترب سارتر كثيرا من النظرة الماركسيّة، وبخاصّة من حيث توسيع مفهوم الالتزام بحيث يشمل التحرر الإنساني بشكل عام. ويقول ر.م. ألبريس في كتابه عن سارتر: إنّ الالتزام الذي يتحدث عنه سارتر يقوم " ببساطة على أن يكون للمرء رأي في الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة، وأن يصرّح بهذا الرأي، مع احتفاظه لنفسه بحريته الفرديّة (ألبريس، 1964، ص153). فمنيف مثلما أشرنا يبدو ملتزما بقضايا الشعوب العربيّة لذلك طرحت رواياته كلّ الإشكالات التي ذكرت والهدف من وراء ذلك تعرية الواقع السياسيّ والاجتماعيّ ومن خلال يرنو إلى رؤية مجتمعات تحقق فيها قيم العدالة الاجتماعيّة والسياسيّة.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد محمد عطية. (1981). الرواية السياسية. دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية. مؤسسة مطابع معتوق بيروت.
2. المنصف وناس. (1981). انعكاسات عامل المثاقفة على الفكر العربي من خلال رواية الأشجار واغتيال مرزوق. (9) .
3. بيار أبي صعب. (1984). الروائي عبد الرحمان منيف: وطني هو البحث الدائم عن الحرية. (8) .
4. رؤى حيدر المومني. (2019). مفهوم الأدب السياسي في ضوء العلاقة المتبادلة بين الأدب والسياسة. 378-361، (2)، 46.
5. ر.م، ألبيريس. (1964). سارتر والوجودية: دراسة وافية لمفهوم الوجودية لدى سارتر في آثاره الفلسفية والأدبية (ط 4). منشورات دار الآداب. بيروت . لبنان.
6. عبد الرحمان منيف. (1983). شرق المتوسط (ط 2). دار الجنوب للنشر. تونس.
7. عبد الرحمن منيف. (1979). الأشجار واغتيال مرزوق (ط 3). المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان.
8. عبد الرحمن منيف. (1980). حين تركنا الجسر (ط 2). المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان.
9. فيصل دراج. (1988). حوار مع عبد الرحمن منيف: الواقع والمثقف والرواية. (18) .
10. محمد عزالدين التازي. (1978). حضور الهزيمة في حين تركنا الجسر. (9) .
11. محمد كامل الخطيب. (1984). انكسار الأحلام—دراسة في روايات عبد الرحمن منيف. (265) .
12. نجوى الرياحي القسنطيني. (1995). الحلم والهزيمة في نماذج من الروايات العربية: مجلد 3. منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية.
13. نجوى الرياحي القسنطيني. (1999). الأبطال وملحمة الانهيار. مركز النشر الجامعي، تونس.
14. ياسين نجمان. (1997). عبد الرحمن منيف: الرواية هي فن عصرنا وتحولاته المتشابكة. (7) .